

"تسليم لغويّ"

الفكر اللغويّ الغربيّ وأثره في فكر الدكتور إبراهيم أنيس

Western linguistic thought and its impact
on the thought of Dr. Ibrahim Anis

م.م. فردوس طالب نعمة

Asst. Lectur. Fardus Talab Niema

العراق / كلية الامام الكاظم عليه السلام الجامعة / قسم التاريخ

Iraq/Imam Al-Kadhim University College
Department of History

faradustnaama@gmail.com

خضع البحث لبرنامج الاستئلال العلمي
Turnitin - passed research

مُلَخَّصُ البَحْثِ:

كان الدرس اللغويّ قبل الدكتور إبراهيم أنيس يدور في فلك ما خلف القدماء في النحو العربي؛ لذا انتقد إبراهيم أنيس الباحثين المحدثين اقتصارهم في دراستهم لعلوم اللغة على كتب الأقدمين ومعالجتهم المسائل اللغوية أو المشاكل اللغوية كما يسميها الدكتور إبراهيم أنيس على النحو الذي جرى عليه القدماء، الأمر الذي دفع الدكتور إبراهيم أنيس إلى تطبيق منهج جديد وفكر مغاير لما جرى عليه الباحثون في دراستهم، فكان له السبق في إدخال الفكر الغربي إلى الدراسات اللغوية العربية ولاسيما الفكر الإنجليزي، وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلها في خدمة العربية لا يخلو منهجه من بعض المؤاخذات ومنها رفضه لقضية الإعراب.

الكلمات المفتاحية: إبراهيم أنيس، المستشرقون، الفكر الغربي، الأصوات، الفكر اللغوي.

Abstract:

The linguistic lesson, before Dr. Ibrahim Anis, revolves around the achievements of the ancient in Arabic syntax. Therefore, Ibrahim Anis criticizes the modern researchers for limiting their studies of linguistics to the books of the ancient and their treatment of linguistic issues or linguistic problems Dr. Ibrahim Anis calls them, as was done by the ancient. Moreover, he is the first in introducing the Western thought into Arabic linguistic studies, in particular the English thought. Despite the great efforts he shows in serving Arabic, his approach is not void of some merits; his rejection to the issue of parsing.

key words: Ibrahim Anis, Orientalists, Western Thought, Voices.

المقدمة:

تناول البحث الفكر اللغوي للدكتور إبراهيم أنيس ومدى تأثيره بالفكر اللغوي الغربي فهو من الأوائل الذين نقلوا علم اللغة الحديث إلى مصر ومن ثم إلى العالم العربي كلّ، فهو رائد الدرس اللغويّ الحديث وقد كانت جهود الدكتور إبراهيم أنيس هي التي أدّت إلى إثارة رياح التغيير يقول الدكتور محمد حماسه (إذا كان فرديناند دي سوير هو رائد علم اللغة الحديث في العالم المعاصر منذ مطلع القرن العشرين فإن إبراهيم أنيس هو رائد الدرس اللغويّ الحديث في العربية) ¹ كان الدرس اللغوي قبل إبراهيم أنيس يدور في فلك ما خلف القدماء في النحو ويشير الدكتور إبراهيم أنيس إلى ذلك بقوله: (وأغلب الظن أن أولئك الذين تقتصر دراستهم على كتب الأقدمين من علماء العربية، لا يزالون حتى الآن يطمئنون إلى علاج هذه المسائل اللغوية على النحو الذي جرى عليه القدماء، ويقنعون بما جاء في كتبهم من شرح لها وتفسير) ²

يُعدّ إبراهيم أنيس أوّل من ادخل الفكر اللغوي الغربي ولاسيما الفكر الانجليزي إلى الفكر العربي وقد أشار إلى مدى تأثيره بالفكر الغربي واصفاً المسائل اللغوية بأنّها "مشاكل لغوية لا تزال بحاجة إلى مزيد من الدراسة والتحقيق وذلك بعد أن اتصلت بدراسات المستشرقين للغات السامية، ودراسات الغربيين للغاتهم الحديثة والقديمة، وما وصلوا إليه من نتائج جليلة الشأن، فقد نهضت الدراسات اللغوية المقارنة في جامعات أوروبا نهضة عظيمة خلال هذا القرن واصبح العلماء هناك يحكمون على الظاهرة اللغوية في ضوء ظواهر اللغات الأخرى" ³. وسنحاول أن نقف في هذه الدراسة على مدى تأثير الدكتور إبراهيم أنيس بالفكر اللغوي الغربي من خلال كتبه في جوانب عدّة منها صوتية وأخرى نحوية أطلق عليها الدكتور

إبراهيم أنيس مشاكل لغوية وأهمها قضية الأعراب وأقسام الكلام. وبناءً على ذلك قسم هذا البحث على مبحثين تناولنا في المبحث الأول الجوانب الصوتية، أمّا المبحث الثاني فدرسنا فيه النظريات اللغوية والنحوية ثم اتبعناهما بخاتمة أوضحنا فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، مع ملاحظة أنّ هذه الدراسة لا تقوم على انتقاد آرائه والوقوف عليها؛ لأن العديد من الباحثين تناولوها بالدراسة والنقد ولكن نحاول أن نقف على مدى تأثيره بالفكر الغربي والحق أنّ الدكتور إبراهيم أنيس قد مزج بين الثقافتين العربية والغربية الأمر الذي مكّنه من عرض المسائل اللغوية التي نظر إليها على أنّها مشاكل لغوية وفق المنهج الغربي وحاول ان يطبق نظريات المستشرقين على مسائل اللغة العربية.

المبحث الأول

التأثر على المستوى الصوتي والدلالي

يقدم الدكتور إبراهيم أنيس في كتابه الأصوات اللغوي دراسةً متكاملةً عن الأصوات اللغوية وطرق دراستها على وفق المنهج الحديث^٤. إذ حاول نقل آراء علماء الغرب وتطبيقها على اللغة العربية في كتابه (الأصوات اللغوية) فجمع بذلك بين الثقافتين العربية والغربية في دراسة الاصوات^٥. فحاول ترجمة الأفكار والنظريات الغربية ونقلها إلى العالم العربي وإيجاد أسس وتفسيرات لبعض المفاهيم القديمة، وبناء أسس علمية لدراسة اللغة العربية لمسايرة الواقع وتلبية متطلبات العصر^٦. وسنبين في هذا المبحث مدى تأثير الدكتور إبراهيم أنيس بالفكر اللغوي الغربي في دراسة الأصوات العربية ودلالة الأصوات والألفاظ على المعاني، ولعل أهم المجالات الصوتية التي يظهر فيها تأثير الدكتور بالمنهج الغربي هي:

١) مقاييس أصوات اللين:

يعتقد الدكتور إبراهيم أنيس أنّ القدماء لم يوفوا أصوات اللين حقّها من الاهتمام مقارنة بالأصوات الساكنة (الحروف)، وأنّ الإشارة إليها كانت سطحية، لا على أنّها من بنية الكلمة، وبمرور الزمن أحس الكتاب بأهمية أصوات اللين الطويلة كالواو والياء الممدودتين فكتبوهما ببعض النقوش والنصوص القديمة.^٧

أما المحدثون فقد اهتموا بأصوات اللين وضبطها بغض النظر عن اللغة التي تنتمي إليها، فأصوات اللين في أي لغة من اللغات كثيرة الدوران والشيوع، والانحراف عن أصول النطق بها^٨. فهي كما يصفها الدكتور إبراهيم أنيس (واضحة في السمع إذا قيست بالأصوات الساكنة، ويجعل أي انحراف في النطق الأولى أبين في السمع)^٩؛ ولا يختلف حال أصوات اللين في العربية عن بقية اللغات؛ لذا حاول الدكتور إبراهيم أنيس تطبيق مقياس أصوات اللين في العربية، واستعمل الرسوم والأشكال ليوضح مخارج أصوات اللين^{١٠}، مشيراً إلى أنّ أوّل من عني بهذه المقاييس هو البرفسور (دانيال جونز) في جامعة لندن الذي استطاع أن يتوصل إلى تلك المقاييس^{١١}.

وهنا يتضح تأثر الدكتور إبراهيم أنيس بالفكر الغربي، فله الفضل في تطبيق هذه المقاييس في اللغة العربية وتحديد مخارج هذه الاصوات والتمييز بينها وبين أشباه أصوات اللين (الواو والياء)^{١٢}

أما اتهامه لعلماء العربية أنّهم لم يهتموا بدراسة تلك الظاهرة فهذا اتهام يخلو من الدقة فالعلماء اهتموا بتلك الظاهرة و فرقوا بين الفتحة وما يسمى بالألف اللينة والكسرة والياء اللينة والضممة والواو اللينة وذكروا أنّ اشباع هذه الحركات يولد حروف اللين^{١٣}.

٢) النبر في العربية:

نفى مجموعة من اللغويين الغرب وجود النبر في العربية يقول هنري فلش: "نبر الكلمة فكرة كانت مجهولة تماما لدى النحاة العرب، بل لم نجد له اسماً في مصطلحاتهم" ^٤ وهو ما أكده المستشرق برجستراسر الذي يقول: "فتعجب كل العجب من أن النحويين والمقرئين القدماء، لم يذكروا النغمة ولا الضغط أصلاً" ^{١٥} وهو ما أكده الدكتور إبراهيم أنيس بقوله: "ليس لدينا من دليل يهديننا إلى موضع النبر في اللغة العربية كما ينطق بها في العصور الإسلامية الأولى؛ إذ لم يتعرض له أحد من المؤلفين القدماء" ^{١٦} ويُعدّ إبراهيم أنيس أوّل من درس النبر دراسة تطبيقية كما ينطق بها القراء في القاهرة ^{١٧}.

والسؤال هنا هل ما ذهب إليه المستشرقون و الدكتور إبراهيم أنيس من إنكار معرفة العرب للنبر صحيح؟

لعلّ الاجابة على هذا السؤال تحتاج إلى دراسة طويلة للخوض في كتب القدامى؛ للوقوف على مصطلح النبر ومفهومه عندهم، وإن استعملوا مصطلح النبر هل استعملوه بالمعنى نفسه في الاصطلاح الحديث، والسؤال الآخر الذي يطرح نفسه هل أشار النحاة القدامى إلى مفهوم النبر ولكن بمصطلحات أخرى؟

٣) نظرية السهولة:

يحدّد الدكتور إبراهيم أنيس مفهومها بقوله: "تنادي هذه النظرية بأن الإنسان في نطقه لأصوات لغته، يميل إلى الاقتصاد في المجهود العضلي، وتلمس أسهل السبل مع الوصول إلى ما يهدف إليه، من إبراز المعاني وإيصالها إلى المحادثين معه. فهو لهذا يميل إلى استبدال السهل من أصوات لغته، بالصعب الشاق الذي يحتاج إلى مجهود عضلي أكبر، ومثل الإنسان في هذا، مثل الظواهر الاجتماعية، ويحاول عادة الوصول

إلى غرضه عن أقصر الطرق كلما أمكن ذلك، وليس معنى هذا أن النظرية تنطبق على كل الحالات، وإنما يمكن تطبيقها على كثير من التطورات الصوتية في اللغة فإذا وجد الباحث أن التطور كان عكسيًا، أي من السهل إلى الصعب - كما وجد فعلاً في بعض الحالات - فعليه أن يبحث عن أسباب أخرى تبرر هذا التطور^{١٨}.

ويبين الدكتور إبراهيم أنيس أنه ليس الوحيد الذي نادى بهذه النظرية فهناك المستشرقان (whitney، curtius) اللذان يريان أن تطور الاصوات غير إرادي ويحدث من غير أن يشعر به المتكلم أو يعتمد إليه^{١٩}.

ويوضح الدكتور إبراهيم أنيس تأييده لأصحاب هذه النظرية بقوله: "والحقيقة أن أنصار هذه النظرية قد أوضحوا لنا بما لا يدع مجالاً للبس والابهام، أن هذا التطور غير إرادي، فهو يحدث دون أن يشعر به المتكلم، ودون أن يعتمد عليه قصداً"^{٢٠} والحق أن علماء العربية القدامى أشاروا إلى هذه النظرية في أثناء مؤلفاتهم عندما تكلموا على ثقل الصوت وخفته فقد نسبوا الخفة إلى الفتحة والثقل إلى الضمة والكسرة^{٢١}.

٤) نظرية الشيوخ:

تنص هذه النظرية "أن الأصوات التي يشيع تداولها تكون أكثر تعرضاً للتطور من غيرها"^{٢٢}. ودعا المستشرق vilhelm thomsen إلى هذه النظرية وطبقها المستشرق (ok. ziph)، أما علماء العربية فقد أحسوا بهذه النظرية وحالوا تطبيقها في تفسير الكثير من الظواهر اللغوية فأشاروا إليها في أثناء كتبهم ولا سيما في أثناء حديثهم عن الترخيم فالصوت اللغوي إذا شاع استعماله في الكلام كان عرضةً لظواهر لغوية يسمونها حيناً إبدالاً وحيناً آخر إدغاماً^{٢٣}، وحاول الدكتور إبراهيم أنيس تطبيق هذه النظرية على القرآن الكريم؛ لأنه بلا شك أصدق الأساليب العربية^{٢٤}. ومما لاشك فيه أن إبراهيم أنيس قد تأثر بأقوال المستشرقين وحاول تطبيقها في كتابه الأصوات اللغوية.

٥) تطور الصوت اللغوي عند الأطفال:

يمرّ الصوت اللغوي عند الطفل بمراحل عدّة حدّدها الدكتور إبراهيم أنيس بثلاث مراحل (مرحلة البكاء والصراخ ٢- مرحلة المناغاة ٣- مرحلة التقليد)^{٢٥}. وإبراهيم أنيس هنا يتبع العالم الدنماركي (جسبرسن) الذي قسّم مراحل الصوت اللغوي على ثلاث مراحل:

١- مرحلة الصياح ٢- مرحلة البأبة ٣- مرحلة الكلام التي تنقسم إلى ١- فترة اللغة الصغيرة الخاصة بالطفل ٢- فترة اللغة المشتركة، أو لغة الجماعة)^{٢٦}. غير أنّ إبراهيم أنيس قسّم اللغة الصغيرة على قسمين وسمّى اللغة المشتركة لغة التقليد، ولعلّ إبراهيم أنيس كان أدق بتسميته تلك.

٦) الصلة بين اللفظ والدلالة

يرى إبراهيم أنيس أن العرب قد ربطوا في مؤلفاتهم بين اللفظ والمدلول ربطاً يكاد يصل إلى الصلة الطبيعية أو الذاتية^{٢٧}، وعلّل ذلك بقوله: "ولعلّ السرّ في هذا الاتجاه هو اعتزازهم بتلك الألفاظ العربية وإعجابهم بها، وحرصهم على الكشف عن أسرارها وخبايها"^{٢٨}.

ثم يبين الدكتور إبراهيم أنيس أن ابن جني في كتابه الخصائص يعقد أربعة فصول للكشف عن الصلة الخفية بين الألفاظ ودلالاتها^{٢٩}.

ويذكر الدكتور إبراهيم أنيس عددًا من العلماء القدامى الذين حاولوا أن يلتصقوا الصلة بين الألفاظ ومعانيها كابن دريد وابن فارس^{٣٠} الذي وصفه بقوله: "غير أنّ ابن فارس قد بلغ الذروة في معجمه فعلى وأسرف في استنباطه، وتلمّس بين الصلات ما لا يخلو من التعسف والتكلف"^{٣١} ثم يذكر الدكتور آراء عدد من اللغويين المحدثين وهم بين مؤيد لفكرة الصلة بين اللفظ والدلالة ومعارض لها،

فذكر من المؤيدين رأي جبرسن الذي لخص مقالاً له (هملت) "يزعم فيه أنّ اللغات بوجه عام تؤثر في التعبير عن الأشياء بواسطة ألفاظ أثرها في الأذان يشبه أثر تلك الأشياء في الأذهان"^{٣٢}

أما أشهر المعارضين لأصحاب الصلة بين الألفاظ والدلالات الذين ذكرهم الدكتور إبراهيم أنيس (دي سوسير) الذي رآها اعتبارية لا تخضع لمنطق أو نظام^{٣٣}، وهو ما أيده فندرس الذي يرى لا وجود علاقة ضرورية بين أصوات الكلمة ودلالاتها،^{٣٤} والمتبع لرأي الدكتور إبراهيم أنيس يرى أنه يميل إلى رأي دي سوسير وفندرس إذ يقول: "لا شك أنّ الذين ينكرون الصلة بين الأصوات والمدلولات هم أقرب الفريقين إلى فهم الطبيعة اللغوية فهم الذين يجردون الظواهر اللغوية من كل غموض ولا يرون فيها أموراً سحرية فوق المدارك والأذهان كما كان يحاول القدماء أن يظهروها لنا"^{٣٥}.

وينصّ الدكتور إبراهيم أنيس أنّ الصلة بين الألفاظ ودلالاتها صلة مكتسبة لم تنشأ مع تلك الألفاظ وإنما اكتسبتها اكتساباً بمرور الأيام وكثرة التداول والاستعمال^{٣٦}، فالألفاظ عنده "بمثابة الرموز على الدلالات فكلّ لفظ يصلح لتعبير عن أي معنى من المعاني، فما يسمى (بالشجرة) يمكن أن يسمّى بأي لفظ متى اصطاح الناس عليه، وتواضعوا على استعماله فليس في لفظ (الشجرة) ما يوحي بفروعها وجذورها وأوراقها وخضرتها"^{٣٧}

المبحث الثاني

التأثر على مستوى النظريات

(نشأة اللغة واللهجات وأقسام الكلام ونظرية الإعراب والدعوة إلى العامية)

تعدّ هذه النظريات من أهم النظريات التي وقف عندها الدكتور إبراهيم أنيس وكان له آراء مختلفة فيها مغايرة لآراء غيره من اللغويين العرب متبعًا بذلك رأي المستشرقين وهذا ما نحاول أن نقف عنده.

١- نشأة اللغة

في حديث الدكتور إبراهيم أنيس عن نشأة اللغة فأبدى اطمئنانه إلى نظرية (جسبرسن) والتي تقوم على أسس ثلاثة: "

١-دراسة مراحل نمو اللغة عند الأطفال

٢-دراسة اللغة في الأمم البدائية

٣-دراسة تاريخية للتطور اللغوي " ٣٨

ويعلّل الدكتور إبراهيم أنيس هذا الاطمئنان بقوله: "لأنّما تأخذ بكلّ النظريات السابقة مجتمعة وتؤسس عناصرها على أسس عملية واضحة المعالم، وخاضعة للتجربة الحديثة، فالنظريات السابقة اعتمدت على طريقة استنباطية؛ لأنها تبدأ بالفرض، ثم تساق لهذا الفرض الأدلة والبراهين، أما نظرية هؤلاء المحدثين فتتبع الطريقة الاستقرائية، فتستعرض الملاحظات والتجارب، ثم تتكون النتيجة أيا ما كانت هذه النتيجة" ٣٩

ونجد أنّ الكلام عن نشأة اللغة من وجهة نظر الدكتور إبراهيم أنيس أقرب إلى رأي المستشرق جوزيف فندرس الذي يرى أنّ اللغة عند السلف البعيد كانت مجرد غناء ينظم بوزنه حركة المشي أو العمل اليدوي، أو صيحة كصيحات الحيوان تعبر عن الألم أو الفرح^{٤٠}.

ولعلّ الخوض بالكلام حول نشأة اللغة هو ضرب من الخيال وما فعله الدكتور إبراهيم أنيس هو صورة خيالية لنشأة اللغة يحتاج إلى براهين قاطعة^{٤١}.

٢) اللهجات:

أكد الدكتور إبراهيم أنيس أهمية دراسة اللهجات العربية القديمة ووضع لها أسساً علميةً ثلاثة هي:

أ - دراسة اللهجات العربية الحديثة دراسة مستفيضة في كلّ البيئات العربية للتعرف إلى خصائصها، وما امتازت به؛ لأنها انحدرت من لهجات قديمة متباينة، جاءت إلى مناطق تتكلم لغات غير عربية) مثل: القبطية في مصر، والآرامية في الشام، والأكدية في العراق، والبربرية في المغرب العربي، ورغم انتصار العربية إلا أنها قد احتفظت ببعض الخصائص اللغوية من اللغات المهزومة.

ب- دراسة القراءات القرآنية دراسة واسعة غير مكثفة بما روي في بطون الكتب، بل يجب أن تطبّق على ما نسمعه فعلاً من أفواه المجيدين للقراءات في البيئات العربية المختلفة، مستعملين في دراستنا النظريات الصوتية الحديثة، والمقاييس والآلات التي تستعمل في معامل الأصوات.

ج - جمع الروايات المتناثرة في بطون كتب اللغة والأدب مما يمت إلى اللهجات القديمة بصلة، ثم تحييصها وتحقيقها، وإصلاح ما فسد منها في رواية مبتورة، أو رواية ممسوخة، سالكين تتبع السند؛ لتمييز الحقّ من الباطل، والصحيح من الزائف. ثم يلي ذلك دراسة تاريخية مستفيضة لتنقلات القبائل وما بعده التنقلات، ودراسة البيئات الاجتماعية لهذه القبائل في العصور المختلفة، وما خالطت من أمم وشعوب^{٤٢}.

وجاء كتابه معزوفة موسيقية، عناصرها متمثلة في الظواهر اللهجية المأخوذة من بطون الكتب، والقراءات، واللهجات الحديثة، رابطاً ذلك بالفصحى وحقائق علم

الأصوات واللغات السامية، وقوانين التطور اللغوي، والعوامل الاجتماعية المؤثرة في هذا التطور كأخطاء الكبار أو الصغار^{٤٣}.

وأكد الدكتور ابراهيم انيس أن السبب الذي دفعه إلى الإقدام على دراسة اللهجات العربية تأثره بالاتجاهات اللغوية الحديثة التي أصبحت دراسة اللهجات فيها عنصراً أساسياً من عناصر الدراسات اللغوية في الجامعات الأوروبية^{٤٤}، فاهتمت الغرب بالبحث في اللهجات العربية دفع كثيرًا من الباحثين العرب إلى دراسة اللهجات العربية وعلى رأسهم الدكتور إبراهيم أنيس^{٤٥}

٣) أقسام الكلام:

يُعدّ موضوع أقسام الكلام من الموضوعات المهمة؛ لأنها تشكّل مدخلاً مهماً للدراسات الصرفية والنحوية^{٤٦}. فمن المتعارف لدى الباحثين والدارسين أن العرب تقسّم الكلام على ثلاثة أقسام (اسم وفعل وحرف)، ولكن الدكتور إبراهيم أنيس عرض إلى هذه القضية في كتابه من أسرار اللغة العربية وانتقد هذا التقسيم واتهم اللغويين العرب القدماء بأنهم اتبعوا الفلاسفة اليونان وأهل المنطق بقوله: "قنع اللغويون القدماء بذلك التقسيم الثلاثي من اسم وفعل وحرف، متبعين في هذا ما جرى عليه فلاسفة اليونان وأهل المنطق من جعل أجزاء الكلام ثلاثة سموها الاسم، والكلمة، والأداة"^{٤٧}. وبين الدكتور إبراهيم أنيس أن اللغويين العرب عندما حاولوا أن يبينوا المقصود من هذه الأجزاء شقّ عليهم الأمر ووجدوا تعريف الاسم لا ينطبق على كلّ الأسماء، كما وجدوا أنّ من الأسماء ما ينطبق عليه تعريفهم للأفعال^{٤٨}، فتعريفهم للأسماء وللأفعال ليست جامعة مانعة وأنّ فكرة الحرفية غامضة في أذهان النحاة^{٤٩}، ولكي يحدّد الدكتور إبراهيم أنيس أجزاء الكلام يضع أسسًا ثلاثة وهي " (١) المعنى (٢) والصيغة (٣) وظيفته اللفظ في الكلام"^{٥٠}

ويرى أنّ هذه الأسس يجب أن لا تغيب عن أذهاننا حين نحاول التفرقة بين أجزاء الكلام، وينصّ الدكتور إبراهيم أنيس أنّه لا يصح الاكتفاء بأساس واحد من هذه الأسس، وعلّل ذلك بقوله: "لأنّ مراعاة المعنى وحده قد تجعلنا نعدّ بعض الأوصاف مثال (قاتل وسامع ومذيع) أسماء وأفعالاً في وقت واحد، كذلك يجلنا هذا على اعتبار المصدر اسماً وفعلًا في وقت واحد، انظر مثلاً إلى قوله تعالى: "لا هن حلّ لهم ولا هم يحلون لهن" تجد أنّ في الآية الكريمة وصفاً وفعلًا ومعناها واحد، بل ووظيفتهما في الكلام متحدة، إذ يقوم كلّ منهما بعملية الإسناد، ولكن الصيغة مختلفة لكلّ منهما ولذا نفرق بين الكلمتين جاعلين إحداهما تنتسب إلى نوع معين من أجزاء الكلام، والأخرى تنسب إلى نوع آخر، ومراعاة الصيغة وحدها قد يلبس الأمر علينا حين نفرق بين الأفعال وبين تلك الأسماء والأوصاف التي وردت في اللغة على وزن الفعل مثل أحمد ويثرب ويزيد وأخضر. . . الخ. بل حتى وظيفة الكلمة في الاستعمال لا تكفي وحدها للتفرقة بين الاسم والفعل: فقد نجدنا اسماً مستعملاً في كلام ما استعمال المسند مثل: (النخيل، نبات) ففي هذه الجملة استعملت كلمة نبات مسنداً أي كما تستعمل الأفعال والأوصاف، فإذا روعيت تلك الأسس الثلاثة معا أمكن إلى حد كبير التمييز بين أجزاء الكلام"^{٥١}

وبعد أن انتهى الدكتور إبراهيم أنيس من تحديد الأسس المتبعة للتفريق بين أجزاء الكلام ورفضه تقسيم النحاة وحاول أن يقسّمه وفقاً لهذه الأسس على أربعة أقسام وادّعى أنّ هذه الأقسام أدقّ من تقسيم العلماء العرب^{٥٢}.

ولم يكن إبراهيم أنيس أوّل من قال بتأثر النحو العربي بالمنطق الارسطي إنما سبقه إلى ذلك عدد من المستشرقين منهم (أدليبر مركس ودي بور) وأشار المستشرق (مركس) إلى أنّ النحو العربي قد تأثر بالنحو اليوناني وأنّ النحاة السريان كانوا

أساتذة العرب^{٥٣}، وضمن نادى بهذا الاتجاه المستشرق فرتشيغ^{٥٤}، والمستشرق الفرنسي FLEIGH في تاريخ الحضارة الإسلامية^{٥٥}

ويعد إبراهيم أنيس "أول لغوي من العرب المحدثين الذين طرحوا بصفة واضحة مبحث أقسام الكلام وطعن بمطابقته لمعطيات العربية بسبب تأثره المفترض بمنطق أرسطو"^{٥٦}. وفند مجموعة من الباحثين رأي إبراهيم أنيس ومنهم الدكتور حسن ناصح الخالدي بقوله: " لو دقق الاستاذ إبراهيم أنيس مفاهيم الأسماء والأفعال والحروف في المنطق اليوناني لوجد أنها تختلف تمامًا عما هو معروف في النحو العربية، وأن ما أورده المناطق اليونان هو غير ما أراده من هذه التقسيمات"^{٥٧}، ويرد الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ما ذهب إليه المستشرقون وإبراهيم أنيس بقوله: " والغريب المقلق أن أشهر هذه الآراء التي ألبست لباس البحث النزيه، هي التي تنفي كل طرافة للمناهج العربية في النحو، وتكر أن يكون النحاة أخرجوا شيئاً جديداً، لعجزهم أو عجز البيئة الاجتماعية العربية، على إتيان مثل هذا الصنع المبتدع، وذهبوا يقارنون بين مصطلحاتهم، وما تواضع عليه اليونان من قبلهم في علم النحو، ورأوا في تقسيم العرب للكلام تقسيماً أرسطو طاليساً محضاً، ويا ليتهم ما فعلوا هذا فينجم من زلل لم يصب به أي عالم من قبلهم"^{٥٨}

وفي الحقيقة أن هذه العناصر تختص بالدرس النحوي ؛ لأنّ التعريف عندهم لا ينطبق على التعريف الارسطي و لا يظهر من كتاباتهم أنهم على معرفة قوية به^{٥٩}.

٤) قصة الإعراب والدعوة إلى العامية:

لاشك أن للإعراب أهمية كبيرة في اللغة فقد اهتم العلماء به كثيراً؛ لما له من دلالة توضّح المعنى وتزيل الإبهام قال الزجاج: " إنّ الأسماء لما كانت تعتورها المعاني، وتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ومضافا إليها، ولم تكن في صورها وأبنيتها دلالة

على هذه المعاني بل كانت مشتركة جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني^{٦٠} مع أهمية الإعراب نجد من الباحثين من له محاولة جريئة تدعو إلى إلغاء الإعراب وعلى رأس هؤلاء الباحثين الدكتور إبراهيم أنيس الذي قال في مقدمة كلامه عن الإعراب واصفا إياه بالقصة: " ما أروعها قصة لقد استمدت خيوطها من ظواهر متناثرة بين قبائل الجزيرة العربية، ثم حيكت وتم نسجها حياكة محكمة في أواخر القرن الأول الهجري أو أوائل القرن الثاني على يد قوم من صنّاع الكلام نشأوا وعاشوا معظم حياتهم في البيئة العراقية، ثم لم يكد ينتهي القرن الثاني الهجري حتى أصبح الإعراب حصناً منيعاً امتنع حتى على الكتاب والخطباء والشعراء من فصحاء العربية، وشقّ اقتحامه إلا على قوم سموا فيما بعد بالنحاة"^{٦١}، وقال في موضع آخر (يظهر - والله أعلم - أن تحريك أواخر الكلمات كان صفة من صفات الوصل في الكلام شعراً أو نثراً، فإذا وقف المتكلم أو ختم جملته لم يحتج إلى تلك الحركات، بل يقف على آخر كلمة من قوله بما يسمّى السكون، كما يظهر أن الأصل في كلّ الكلمات أن تنتهي بهذا السكون وأن المتكلم لا يلجأ إلى تحريك الكلمات إلا لضرورة صوتية يتطلبها الوصل"^{٦٢}.

فالعرب كما يقول الدكتور إبراهيم أنيس لم يعرفوا الإعراب الا في نهاية القرن الثاني الهجري وأنهم كانوا يسكنون أواخر الكلمات دائماً إلا عند التقاء ساكنين أو لهما في آخر الكلمة والثاني في أول الكلمة التالية فظاهرة الإعراب لم تكن ظاهرة سليقة في متناول العرب جميعاً كما يقول النحاة بل كانت صفة من صفات اللغة النموذجية الأدبية، ولم تكن من معالم الكلام العربي مستندلاً على ذلك بمجموعة من الروايات ظهر فيها اللحن^{٦٣}.

ولعلّ السبب في ذلك حسب رأيه أنهم رأوا تغيير أواخر الأسماء في اللغة اليونانية فحفّزهم الأمر إلى أن يكون لهم نحو مشابه لما عند اليونان^{٦٤}. يقول الدكتور

إبراهيم أنيس: " نحن نرجح أن تحريك أو آخر كل الكلمات لم يكن في أصل نشأته إلا صورة للتخلص من التقاء ساكنين، غير أن النحاة حين أعتبهم قواعده وشق عليهم استنباطها، فصلوا بين عناصر الظاهرة الواحدة، ولعلهم تأثروا في نهجهم هذا بما رأوه حولهم من لغات أخرى كاليونانية مثلاً، ففيها يفرق بين حالات الأسماء التي تسمى cases ويرمز لها في نهاية الأسماء برموز معينة وكأنها قد عزت على النحاة الا يكون في العربية أيضا مثل هذه الـ cases، فحين وافقت الحركة ما استنبطوه من أصول إعرابية قالوا عنها إنها حركة إعراب، وفي غير ذلك سموها حركة أتى بها للتخلص من التقاء الساكنين"^{٦٥}، ويبدو أن إبراهيم أنيس استند في تشكيكه بالإعراب إلى آراء بعض المستشرقين قبله ويظهر ذلك واضحاً من إشارته إلى مؤلفاتهم في هذا المجال^{٦٦}.

الخاتمة:

يمكن أن نلاحظ تأثر إبراهيم أنيس بالفكر الغربي من جوانب عدّة نجملها على النحو الآتي:

أولاً: تأثره بالقضايا النحوية وأهمها قضية الإعراب وأقسام الكلام إذ:

١- يرى الدكتور إبراهيم أنيس أنّ العرب لم يكونوا يعرفون الإعراب قبل نهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني الهجري وأنّهم كانوا يسكنون أواخر الكلمات، وأنّ النحويين المسلمين هم الذين اخترعوا ذلك؛ لأنّهم رأوا تغيير أواخر الأسماء في اللغة اليونانية فحفّزهم الأمر إلى أن يكون لهم في نحوهم شيء مشابه لما عند اليونان، ويرى أنّ المعنى يظهر من خلال نظام الجملة وما يحيط بها من ظروف وملابسات، ومن الواضح هنا تأثر الدكتور أنيس بالفكر الغربي.

٢- رفض الدكتور التقسيم الثلاثي للكلام وادّعى أنّ النحويين قد تأثروا بالفكر اليوناني لتقسيم الكلّم، ولم يكن إبراهيم أنيس أوّل من قال بهذا الرأي فقد سبقه المستشرقون إلى ذلك.

ثانياً: تأثره في الجوانب الصوتية:

يظهر تأثره بالنواحي الصوتية من عدّة جوانب ممكن إجمالها على النحو الآتي:

١- المصطلحات الصوتية: أشار الدكتور إبراهيم أنيس في مقدمة كتابه الأصوات اللغوية إلى تأثره بالفكر الغربي واستعماله المصطلحات الأجنبية، وقرّق بين مصطلحي الفنولوجيا و الفوناتيك الغربيين^{٦٧}

٢- رفض إبراهيم أنيس القول بوجود صلة نظامية بين الألفاظ والدلالات وعدّها من الوهم متبعاً بذلك رأي فردينا دي سوسير الذي يؤكد اعتبارية العلاقة بين الدال والمدلول^{٦٨}.

ثالثاً: تأثيره بالمنهج الغربي

تأثر الدكتور إبراهيم أنيس بالمنهج الوصفي، وهو المنهج الذي اتّبعه في دراسة اللهجات العربية، ونصّ على تأثيره بالمنهج الغربي في مقدمة كتابه أسرار العربية بقوله: " وقد حاولت في هذا الكتاب علاج تلك المشاكل اللغوية علاجاً علمياً حديثاً بعيداً عن الجدل العقيم، ومؤسساً على أحدث النظريات التي اهتدى إليها المحدثون في الدراسات اللغوية "

وعلى الرغم من الجهود المبذولة للدكتور إبراهيم أنيس في خدمة العربية فله الفضل في إدخال الفكر الغربي ونظرياته إلى الفكر العربي إلا أن هذه الآراء لا تخلو من المؤاخذات منها انكاره لقضية الإعراب.

هوامش البحث:

- (١) إبراهيم أنيس والدرس اللغوي ١٥ .
- (٢) أسرار العربية لإبراهيم أنيس المقدمة.
- (٣) مقدمة كتاب اسرار العربية.
- (٤) ينظر: الفكر اللغوي عند إبراهيم أنيس: ١١
- (٥) ينظر: جهود إبراهيم أنيس الصوتية من خلال كتابه الأصوات اللغوية: ٣
- (٦) ينظر: المصدر السابق: ١٧
- (٧) ينظر: الأصوات اللغوية: ٤٢ .
- (٨) ينظر: المصدر السابق: ٣٣
- (٩) المصدر السابق: ٣٤ .
- (١٠) ينظر: الأصوات اللغوية: ٣٨ - ٤٠ .
- (١١) ينظر: الأصوات اللغوية: ٣٥
- (١٢) ينظر: الفكر اللغوي عند إبراهيم أنيس: ١٥ .
- (١٣) ينظر: جهود إبراهيم أنيس الصوتية من خلال كتابه ٤٠ -
- (١٤) العربية الفصحى في البناء اللغوي: ٦٤ .
- (١٥) التطور النحوي للغة العربية: ٧٢
- (١٦) الأصوات اللغوية: ١٠٤ .
- (١٧) ينظر: الفكر اللغوي عند إبراهيم أنيس: ٣٤ .
- (١٨) الأصوات اللغوية: ١٦٩ .
- (١٩) ينظر: المصدر السابق: ١٦٩ .
- (٢٠) المصدر السابق: ١٧٠ .
- (٢١) ينظر: المصدر السابق ١٧٠ .
- (٢٢) الأصوات اللغوية: ١٧٢ .
- (٢٣) ينظر: المصدر السابق: ١٧٢ .
- (٢٤) ينظر: المصدر السابق: ١٧٣ - ١٧٥ .
- (٢٥) ينظر: المصدر السابق: ١٤٧ - ١٤٩ .
- (٢٦) ينظر: اللغة والمجتمع: ٤١ .
- (٢٧) ينظر: دلالة الألفاظ ص ٦٤ .

- (٢٨) المصدر السابق: ٦٤
- (٢٩) ينظر: المصدر السابق: ٦٤-٦٧
- (٣٠) ينظر: المصدر السابق ٦٦-٦٧
- (٣١) دلالة الالفاظ ٦٧
- (٣٢) المصدر السابق: ٦٨
- (٣٣) ينظر: المصدر السابق: ٧٠
- (٣٤) ينظر: عن الفكر اللغوي عند إبراهيم أنيس: ١٣١.
- (٣٥) من أسرار العربية: ١٢٩.
- (٣٦) ينظر: دلالة الألفاظ: ٧١
- (٣٧) المصدر السابق: ٧٢.
- (٣٨) دلالة الالفاظ: ٢٨
- (٣٩) المصدر السابق: ٢٨
- (٤٠) ينظر: في علم اللغة العام عبد الصبور الشاهين: ٧٩-٨٠
- (٤١) ينظر: المصدر السابق: ٧٨-٨٠.
- (٤٢) ينظر: في اللهجات العربية: ١٠-١٣ وينظر إبراهيم أنيس رائد الدراسات اللغوية في العالم: ٨٢.
- (٤٣) ينظر: في اللهجات العربية: ١٢-١٣، وينظر: إبراهيم أنيس رائد الدراسات اللغوية في العالم: ٨٣
- (٤٤) ينظر: في اللهجات العربية: ٩
- (٤٥) ينظر إبراهيم أنيس رائد الدراسات اللغوية في العالم: (٨٠)
- (٤٦) ينظر: بحث جهود المحدثين في إعادة تقسيم الكلم محاولة إبراهيم أنيس إنموذجا: ١
- (٤٧) من اسرار العربية: ٢٦٣.
- (٤٨) ينظر: المصدر السابق: ٢٦٣.
- (٤٩) ينظر: المصدر السابق: ٢٦٤.
- (٥٠) ينظر: المصدر السابق: ٢٦٤.
- (٥١) من أسرار العربية ٢٦٥_٢٦٦.
- (٥٢) ينظر: أسرار العربية إبراهيم أنيس: ٢٦٦
- (٥٣) ينظر: جهود المحدثين في تقسيم الكلم إبراهيم أنيس إنموذجا: ٣-٤

- ٥٤) النحو العربي والمنطق الارسطي مقارنة حفرية: ٢-٤ .
٥٥) إبراهيم أنيس وانظاره الدلالية و النحوية ٢٦٢ .
٥٦) ينظر: جهود المحدثين في إعادة تقسيم الكلم محاولة إبراهيم أنيس إنموذجا(بحث): ٦ .
٥٧) أصالة النحو العربي: ١٣٣ .
٥٨) النحو العربي ومنطق أرسطو: ٧٦-٧٧ .
٥٩) ينظر: النحو العربي والدرس الحديث: ٧٢ .
٦٠) الايضاح في علل النحو: ٩٧ .
٦١) من أسرار العربية: ١٨٣ .
٦٢) المصدر السابق: ٢٠٨ .
٦٣) ينظر: المصدر السابق: ١٨٣-١٩٠ .
٦٤) ينظر: المصدر السابق: ٢٠٢ .
٦٥) المصدر السابق: ٢٣٩ .
٦٦) ينظر: من اسرار العربية: ٢٠٦ / ٢٣٣ / ٢٤١ .
٦٧) ينظر: الأصوات اللغوية: ٣-٥ .
٦٨) ينظر: إبراهيم أنيس وأنظاره النحوية والدلالية: ٥٣-٥٤ .

قائمة المصادر والمراجع:

- *الرمانة، افتخار محمد علي. ٢٠٠٤م. إبراهيم أنيس وانظاره الدلالية والنحوية (رسالة ماجستير) اشراف الدكتور عبد الله عنبر. الجامعة الاردنية: كلية الدراسات العليا.
- *أنيس، ابراهيم. ١٩٦٦م. اسرار العربية. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية. ط٢.
- *الخالدي، كريم حسن ناصح. ٢٠٠٥م. أصالة النحو العربي. عمان. الأردن: دار الصفاء. ط١.
- *أنيس، أبراهيم. ١٩٥٠م. الأصوات اللغوية. مكتبة نهضة مصر الفجالة. ط٢.
- * برجشتر، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م. التطور النحوي للغة العربية: ترجمة رمضان عبد التواب. القاهرة: مكتبة الخفاجي. ط٢
- *آدم، محمد يحيى. ٢٠١٣م. جهود إبراهيم أنيس الصوتية من خلال كتابه الأصوات اللغوية(رسالة ماجستير): كلية اللغات _ جامعة المدينة العليا. اشراف الدكتور داود عبد القادر إييلغيا.
- *جهود المحدثين في إعادة تقسيم الكلّم محاولة إبراهيم أنيس إنموذجا(بحث): د. سهل ليلي، جامعة محمد خضير _ بسكرة.
- *أنيس، إبراهيم. ١٩٧٦م. دلالة الألفاظ. مكتبة الانجلو المصرية. ط٢
- *فليش، هنري. العربية الفصحى في البناء اللغوي. تعريب وتحقيق. الدكتور عبد الصبور شاهين، المنيرة: مكتبة الشباب.
- *التواب، رمضان عبد. ٢٠٠٩م. فصول في فقه العربية. القاهرة: مكتبة الخفاجي. ط٧.
- *البوالصة، عمّار الياس. ٢٠٠٣م. الفكر اللغوي عند إبراهيم أنيس (دراسة وصفية تحليلية في الأصوات والصرف والنحو والدلالة). (رسالة ماجستير). جامعة مؤتة.
- *أنيس، إبراهيم. في اللهجات العربية. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية. ط٣.
- *الشاهين، عبد الصبور. ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م. في علم اللغة العام. بيروت: مؤسسة الرسالة. ط٦.
- * السعران، محمود. ١٩٦٣م. اللغة والمجتمع. الإسكندرية. ط٢.
- *عوض، إبراهيم. ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م. المستشرقون والقرآن (دراسة لترجمات نفر من المستشرقين الفرنسيين للقرآن الكريم وآرائهم فيه). القاهرة: مكتبة زهراء الشرق. ط١.
- *الراجحي، عبده. ١٩٨٦. النحو العربي والدرس الحديث. بيروت: دار النهضة العربية. ط١.
- *ريحاني، الازهري. النحو العربي والمنطق الارسطي مقارنة حفرية. قسم اللغة العربية وآدابها. كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية. مخبر اللسانيات. علم الاجتماع اللغوي وتعليمية اللغات. جامعة الجزائر.
- *الحاج صالح، ١٩٦٤م. النحو العربي ومنطق أرسطو(بحث). الجزائر: مجلة كلية الاداب. العدد الاول.